بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المجرمون: دعاةُ المظاهراتِ لغلاءِ الأسعارِ

أتريدون أنْ توقعوا بلادَنا في الفتن والدمار؟!

أيها المسلمون:

لقد تكفل الله سبحانه بأرزاق عباده، فما من دابة في الأرض إلا علىٰ الله رزقها ، وما من طائرٍ يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم، فالمؤمن يُفوِّض أمرَه إلىٰ الرزاق ذي القوة المتين، ويبتغِ عنده الرزق، ويوقن أنه لن تموت نفسٌ حتىٰ تستكمل رزقها وأجلها الذي قُدِّر لها.

قال الله تعالىٰ: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: أَخْبَرَ تَعَالَىٰ أَنَّهُ مُتَكَفِّلٌ بِأَرْزَاقِ الْمَخْلُوقَاتِ، مِنْ سَائِرِ دَوَابِّ الْأَرْضِ، صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، بَحْرِيِّهَا، وَبَرِّيِّهَا، وَأَنَّهُ {يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا} أَيْ: يَعْلَمُ أَيْنَ مُنتهىٰ سَيْرِهَا فِي الْأَرْضِ، وَأَيْنَ تَأْوِي إِلَيْهِ مِنْ وَكْرِهَا، وَهُوَ مُسْتَوْدَعُهَا.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ وَغَيْرُهُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: {وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا} أَيْ: حَيْثُ تَأْوِي، {وَمُسْتَوْدَعَهَا} حَيْثُ تَمُوتُ. اهـ

وقال عز وجل: {اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ}.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: يَذْكُرُ تَعَالَىٰ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُوَسِّعُ الرِّزْقَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ، وَيُقَتِّرُهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ، لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْعَدْلِ. وَفَرِحَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ بِمَا أُوتُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا اسْتِدْرَاجًا لَهُمْ وَإِمْهَالًا كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ}.

وقال تبارك وتعالىٰ: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: يُخْبِرُ تَعَالَىٰ عَنْ تَشْرِيفِهِ لِبَنِي آدَمَ، وَتَكْرِيمِهِ إِيَّاهُمْ، فِي خَلْقِهِ لَهُمْ عَلَىٰ أَحْسَنِ الْهَيْئَاتِ وَأَكْمَلِهَا كَمَا قَالَ: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}. أَيْ: يَمْشِي قَائِمًا مُنْتَصِبًا عَلَىٰ رِجْلَيْهِ، وَيَأْكُلُ بِيَدَيْهِ - وَغَيْرُهُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ وَيَأْكُلُ بِفَمِهِ - وَجَعَلَ لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا وَفُؤَادًا، يَفْقَهُ بِذَلِكَ كُلِّهِ وَيَنْتَفِعُ بِهِ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ، وَيَعْرِفُ مَنَافِعَهَا وَخَوَاصَّهَا وَمَضَارَّهَا فِي الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ.

{وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ} أَيْ: عَلَىٰ الدَّوَابِّ مِنَ الْأَنْعَامِ وَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ، وَفِي "الْبَحْرِ" أَيْضًا عَلَىٰ السُّفُنِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ.

{وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ} أَيْ: مِنْ زُرُوعٍ وَثِمَارٍ، وَلُحُومٍ وَأَلْبَانٍ، مِنْ سَائِرِ أَنْوَاعِ الطُّعُومِ وَالْأَلْوَانِ، الْمُشْتَهَاةِ اللَّذِيذَةِ، وَالْمَنَاظِرِ الْحَسَنَةِ، وَالْمَلَابِسِ الرَّفِيعَةِ مِنْ سَائِرِ الْأَنْوَاعِ، عَلَىٰ اخْتِلَافِ أَصْنَافِهَا وَأَلْوَانِهَا وَأَشْكَالِهَا، مِمَّا يَصْنَعُونَهُ لِأَنْفُسِهِمْ، وَيَجْلِبُهُ إِلَيْهِمْ غَيْرُهُمْ مِنْ أَقْطَارِ الْأَقَالِيمِ وَالنَّوَاحِي.

{وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا} أَيْ: مِنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ وَأَصْنَافِ الْمَخْلُوقَاتِ. اهـ

وقال سبحانه: {فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: {فَابْتَغُوا} أَيْ: فَاطْلُبُوا {عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ} أَيْ: لَا عِنْدَ غَيْرِهِ، فَإِنَّ غَيْرَهُ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا، {وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ} أَيْ: كُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَاعْبُدُوهُ وَحْدَهُ، وَاشْكُرُوا لَهُ عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ، {إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجَازِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ. اهـ

وقال عز وجل: { وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } إلىٰ قوله: {اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أَخْبَرَهُمْ تَعَالَىٰ أَنَّ الرِّزْقَ لَا يُخْتَصُّ بِبُقْعَةٍ، بَلْ رِزْقُهُ تَعَالَىٰ عَامٌّ لِخَلْقِهِ حَيْثُ كَانُوا وَأَيْنَ

كَانُوا، بَلْ كَانَتْ أَرْزَاقُ الْمُهَاجِرِينَ حَيْثُ هَاجَرُوا أَكْثَرَ وَأَوْسَعَ وَأَطْيَبَ، فَإِنَّهُمْ بَعْدَ قَلِيلٍ صَارُوا حُكَّامَ الْبِلَادِ فِي سَائِرِ الْأَقْطَارِ وَالْأَمْصَارِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: {وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا} أَيْ: لَا تُطِيقُ جَمْعَهُ وَتَحْصِيلَهُ وَلَا تُؤَخِّرُ شَيْئًا لِغَدٍ، {اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ} أَيِ: اللهُ يُقَيِّضُ لَهَا رِزْقَهَا عَلَىٰ ضَعْفِهَا، وَيُيَسِّرُهُ عَلَيْهَا، فَيَبْعَثُ إِلَىٰ كُلِّ مَخْلُوقٍ مِنَ الرِّزْقِ مَا يُصْلِحُهُ، حَتَّىٰ الذَّرِّ فِي قَرَارِ الْأَرْضِ، وَالطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ وَالْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَىٰ اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}.

أي: الباري تبارك وتعالىٰ قد تكفل بأرزاق الخلائق كلهم، قويهم وعاجزهم، فكم {مِنْ دَابَّةٍ} في الأرض، ضعيفةِ القوىٰ، ضعيفةِ العقل. {لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا} ولا تدخرُه، بل لم تزل لا شيء معها من الرزق، ولا يزال الله يسخر لها الرزق، في كل وقت بوقته.

{اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ} فكلكم عيال الله، القائم برزقكم، كما قام بخلقكم وتدبيركم، {وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} فلا يخفىٰ عليه خافية، ولا تهلك دابة من عدم الرزق بسبب أنها خافية عليه.

وقال تبارك وتعالىٰ: {أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}.

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: ولما ذكر أنهم اغتروا بالمال، وزعموا - بجهلهم - أنه يدل علىٰ حسن حال صاحبه، أخبرهم تعالىٰ أن رزقه، لا يدل علىٰ ذلك، وأنه {يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ} من عباده، سواء كان صالحا أو طالحا {وَيَقْدِرُ} الرزق، أي: يضيقه علىٰ من يشاء، صالحا أو طالحا، فرزقه مشترك بين البرية، والإيمان والعمل الصالح يخص به خير البرية. {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} أي: بسط الرزق وقبضه، لعلمهم أن مرجع ذلك عائد إلىٰ الحكمة والرحمة، وأنه أعلم بحال عبيده، فقد يضيق عليهم الرزق لطفا بهم؛ لأنه لو بسطه لبغوا في الأرض، فيكون تعالىٰ مراعيا في ذلك صلاح دينهم الذي هو مادة سعادتهم وفلاحِهم، والله أعلم.

وقال سبحانه: {اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ

اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}.

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: {اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا} أي: قارة ساكنة، مهيأة لكل مصالحكم، تتمكنون من حرثها وغرسها، والبناء عليها، والسفر، والإقامة فيها.

{وَالسَّمَاءَ بِنَاءً} سقفًا للأرض، التي أنتم فيها، قد جعل الله فيها ما تنتفعون به من الأنوار والعلامات، التي يهتدىٰ بها في ظلمات البر والبحر، {وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ} فليس في جنس الحيوانات، أحسن صورة من بني آدم، كما قال تعالىٰ: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}.

وإذا أردتَّ أن تعرف حسنَ الآدمي وكمالَ حكمةِ الله تعالىٰ فيه، فانظر إليه عضوًا عضوًا، هل تجد عضوًا من أعضائه لا يليق به، ويصلح أن يكون في غير محله؟ وانظر أيضًا، إلىٰ المَيلِ الذي في القلوب بعضِهم لبعض، هل تجد ذلك في غير الآدميين؟ وانظر إلىٰ ما خصه الله به من العقل والإيمان، والمحبة والمعرفة، التي هي أحسن الأخلاق المناسبة لأجمل الصور.

{وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ} وهذا شامل لكل طيب، من مأكل، ومشرب، ومنكح، وملبس، ومنظر، ومسمع، وغير ذلك، من الطيبات التي يسرها الله لعباده، ويسر لهم أسبابها، ومنعهم من الخبائث، التي تضادها، وتضر أبدانهم، وقلوبهم، وأديانهم، {ذَلِكُمُ} الذي دبر الأمور، وأنعم عليكم بهذه النعم {اللهُ رَبُّكُمْ} {فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} أي: تعاظم، وكثر خيره وإحسانه، المربي جميع العالمين بنعمه.

وقال جل وعلا: {وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ}.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: قَوْلُهُ: {وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ} أَيْ: لَوْ أَعْطَاهُمْ فَوْقَ حَاجَتِهِمْ مِنَ الرِّزْقِ، لَحَمَلَهُمْ ذَلِكَ عَلَىٰ الْبَغْيِ وَالطُّغْيَانِ مِنْ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، أَشَرًا وَبَطَرًا. وَقَالَ قَتَادَةُ: كَانَ يُقَالُ: خَيْرُ الْعَيْشِ مَا لَا يُلْهِيكَ وَلَا يُطْغِيكَ ...

وَقَوْلُهُ: {وَلَكِنْ يُنزلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ} أَيْ: وَلَكِنْ يَرْزُقُهُمْ مِنَ الرِّزْقِ مَا يَخْتَارُهُ مِمَّا فِيهِ صَلَاحُهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِذَلِكَ فَيُغْنِي مَنْ يَسْتَحِقُّ الْغِنَىٰ، وَيُفْقِرُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْفَقْرَ. اهـ

وقال سبحانه: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}.

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: هذه الغاية، التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالىٰ، فإن تمام العبادة، متوقف علىٰ المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم.

فما يريد منهم من رزق وما يريد أن يطعموه، تعالىٰ الله الغني المغني عن الحاجة إلىٰ أحد بوجه من الوجوه، وإنما جميع الخلق فقراء إليه في جميع حوائجهم ومطالبهم، الضرورية وغيرها، ولهذا قال: {إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ} أي: كثير الرزق، الذي ما من دابة في الأرض ولا في السماء إلا علىٰ الله رزقها، ويعلم مستقرها ومستودعها.

{ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} أي: الذي له القوة والقدرة كلها، الذي أوجد بها الأجرام العظيمة، السفلية والعلوية، وبها تصرف في الظواهر والبواطن، ونفذت مشيئته في جميع البريات، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يعجزه هارب، ولا يخرج عن سلطانه أحد، ومن قوته، أنه أوصل رزقه إلىٰ جميع العالم، ومن قدرته وقوته، أنه يبعث الأموات بعد ما مزقهم البلىٰ، وعصفت بترابهم الرياح، وابتلعتهم الطيور والسباع، وتفرقوا وتمزقوا في مهامه القفار، ولجج البحار،

فلا يفوته منهم أحد، ويعلم ما تنقص الأرض منهم، فسبحان القوي المتين. اهـ

أخرج الشيخان عن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: «أَنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ، فَيُؤْذَنُ

بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيَكْتُبُ رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ لَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا».

أخرج البزار في "مسنده"، وقال العلامةُ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح الترغيب والترهيب": حسنٌ صحيحٌ، عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَدَعَا النَّاسَ، فَقَالَ: «هَلُمُّوا إِلَيَّ»، فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ ،فَجَلَسُوا فَقَالَ: «هَذَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ جِبْرِيلُ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّهُ لَا تَمُوتُ نَفْسٌ حَتَّىٰ تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، وَإِنْ أَبْطَأَ عَلَيْهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَأْخُذُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ».

وأخرج الطبراني في "الكبير"، وصححه العلامةُ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح الجامع" عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «نَفَثَ رُوحُ الْقُدُسِ فِي رَوْعِي أَنَّ نفْسًا لَنْ تَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّىٰ تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمِ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ».

وأخرج القضاعي في "مسنده"، وصححه العلامةُ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "تخريج مشكلة الفقر" عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّىٰ تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ».

ذكر أبو نعيم في "حلية الأولياء": قيل لأبي حازم سلمة بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ : يَا أَبَا حَازِمٍ، أَمَا تَرَىٰ قَدْ غَلَا السِّعْرُ؟ فَقَالَ: وَمَا يَغُمُّكُمْ مِنْ ذَلِكَ؟ إِنَّ الَّذِي يَرْزُقُنَا فِي الرُّخْصِ هُوَ الَّذِي يَرْزُقُنَا فِي الْغَلَاءِ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في "مجموع الفتاوىٰ": فَالْغَلَاءُ بِارْتِفَاعِ الْأَسْعَارِ، وَالرُّخْصِ بِانْخِفَاضِهَا هُمَا مِنْ جُمْلَةِ الْحَوَادِثِ الَّتِي لَا خَالِقَ لَهَا إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، وَلَا يَكُونُ شَيْءٌ مِنْهَا إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، لَكِنْ هُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ

بَعْضَ أَفْعَالِ الْعِبَادِ سَبَبًا فِي بَعْضِ الْحَوَادِثِ. اهـ

غلاء الأسعار وقع مرات ومرات في عهد السلف:

ومن ذلك ما ذكره الحافظ ابن كثير في "البداية والنهاية" قال رَحِمَهُ اللَّهُ: ثُمَّ دخلت سنة ثماني عشرة وسبعمائة : ... وَوَصَلَتِ الْأَخْبَارُ فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ وَبِلَادِ الشَّرْقِ سِنْجَارَ وَالْمَوْصِلَ وَمَارِدِينَ وَتِلْكَ النَّوَاحِي بِغَلَاءٍ عَظِيمٍ وَفَنَاءٍ شَدِيدٍ، وَقِلَّةِ الْأَمْطَارِ، وخوف التَّتَارِ، وَعَدَمِ الْأَقْوَاتِ وَغَلَاءِ الْأَسْعَارِ، وَقِلَّةِ النَّفَقَاتِ، وَزَوَالِ النِّعَمِ، وَحُلُولِ النِّقَمِ، بِحَيْثُ إِنَّهُمْ أَكَلُوا مَا وَجَدُوهُ مِنَ الْجَمَادَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالْمَيْتَاتِ، وَبَاعُوا حَتَّىٰ أَوْلَادَهُمْ وَأَهَالِيَهُمْ، فَبِيعَ الْوَلَدُ بِخَمْسِينَ دِرْهَمًا وأقل من ذلك .اهـ

هكذا باع الناس أولادهم في سنة ثماني عشرة وسبعمائة علىٰ خمسين درهما للولد الواحدِ يعني بما يساوي خمسَ مئة جنيهٍ في زماننا !!

بل إن غلاء الأسعار وقع علىٰ عهد رسول الله ﷺ، فماذا فعل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟

أخرج أحمد وأهل السنن عدا النسائي وقال الترمذي : حسن صحيح، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: غَلَا السِّعْرُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ سَعِّرْ لَنَا. فَقَالَ : " إِنَّ اللهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّزَّاقُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَىٰ رَبِّي وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَطْلُبُنِي بِمَظْلِمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ ".

إن غلاء الأسعار لم يسلم منه أفضلُ العهود وأزكاها عصرُ النبي ﷺ وأصحابِه الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، ففيه تسليةٌ وعزاءٌ لكل مجتمع قد يصاب في دنياه بشيء مِن المصائب، ولو كان علىٰ دين وتقوىٰ وصلاح، فإن الابتلاءات كما تكون عقوبات، فإنها قد تكون أيضـًا لتكفير السيئات، ورفع الدرجات.

إذا عرفتَ أيها المسلم أنَّ المسعر هو الله تعالىٰ، وأنه هو الذي يرفعُ الأسعار وهو الذي يُخفضُها عرفتَ أنَّ الذين يَشُنُّون الحملاتِ المسعورةَ علىٰ ولاة أمورنا وفقهم الله إذا حصل شيء من ارتفاع الأسعار في بعض السلع حسَب ما تقتضيه ظروفُ الوقت قد خالفوا السبيل القويم والمنهجَ المستقيم؛ لأن الأسعار بيد الله تعالىٰ.

لقد خرج دعاة الضلالة يحرضون الرعية علىٰ الراعي، ويحرضون الشعبَ علىٰ الحاكم من أجل غلاء الأسعار راغبين بذلك في دمارٍ عارمٍ وخرابٍ واسعٍ، فإن اختلاف الكلمة بين الراعي والرعية تفضي إلىٰ مصائبَ وخيمة ،وأهوالٍ عظيمة كما لا يخفىٰ وقد تبين ذلك جليـًا بعد أحداث ما يسمىٰ بالربيع العربي المزعوم.

إنَّ المؤمن الخاضع لأمر الله تعالىٰ المتَّبعَ لرسول الله ﷺ لا يربط بين بيعته لولاة أمره وبين ما يصله من دنياهم بل يبايعهم لله إن أعطوه حقه حمد الله وسمع وأطاع وإن منعوه حقه صبر واحتسب وسمع وأطاع لِما أخرجه البخاري عن زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ :" إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا قَالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ : أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ وَسَلُوا اللهَ حَقَّكُمْ".

أمَّا أن يرضىٰ ويسمع ويطيع إذا أعطوه ويسخط أو يُحرض أو يثير الفتنة إذا منعوه فهذا ليس من سلوك أهل الإيمان، فقد أخرج الشيخان وابنُ ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : رَجُلٌ عَلَىٰ فَضْلِ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ يَمْنَعُ مِنْهُ ابْنَ السَّبِيلِ وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَاهُ إِنْ أَعْطَاهُ مَا يُرِيدُ وَفَىٰ لَهُ وَإِلَّا لَمْ يَفِ لَهُ، وَرَجُلٌ يُبَايِعُ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَحَلَفَ بِاللهِ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا كَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ فَأَخَذَهَا وَلَمْ يُعْطَ بِهَا".

لنحمدِ الله ولنشكرْه علىٰ نِعمه ومِننه وآلائه، فنحن نعيش ولله الحمد في أمن، وكفىٰ بذلك نعمة، لابد أن نشكر الله جل وعلا عليها، فبالشكر تدوم النعم.

سببُ غلاء الأسعار:

إنَّ السببَ في غلاء الأسعار كثرةُ الذنوب والمعاصي، قال الله تعالىٰ: {كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.

وقال سبحانه :{أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ

مِدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنـًا آخَرِينَ}، وقال عز وجل:{ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ}.

وقال جل وعلا: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ}.

قال شيخنا العلامة صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله في كتابه "إعانة المستفيد": ثمّ قال: {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ } ، {بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ} الشدائد من الجوع والخوف والقحط وغلاء الأسعار، يفعل الله ذلك بهم لعلهم يدعونه، ولعلهم يرجعون إلىٰ الله ويتوبون، ويعلمون أن ما أصابهم بسبب ذنوبهم، لكنهم لم يرجعوا .

ما المخرج من ذلك؟

المخرج من غلاء الأسعار في كلام السلف ليس بالمظاهرات، ولا بالاعتصامات، ولا بتأليب الرعية علىٰ السلطان، ولكن بالتوبة والرجوع إلىٰ الله عز وجل، قال الله تعالىٰ: {فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ}، وقال سبحانه: {وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّىٰ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ}، وقال جل وعلا: {وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ}.

وإني لأحذركم جميعا أيها الإخوة من دعاة الضلالة أدعياء السلفية كجماعة برهامي الذين يتظاهرون أمام الناس

بأنهم مع الدولة وهم والله ضدها ، وهذا تصريح برهامي بأنه لا يبايع وليَّ أمرنا.

وهذا كلامه: جاء في جريدة البوابة: السبت 1/ 8/ 2015م:

قال برهامي في التسجيل الذىٰ أجري في الفترة الانتقالية بعد الثلاثين من يونيو: لم أقل أن حسني مبارك ولي أمر، ولا

مرسي ولي أمر، ولا المجلس العسكري ولي أمر، ولا الموجود حاليًا - يقصد الرئيس المؤقت عدلي منصور- ولي أمر، ولا اللي جاي ولي أمر .اهـ

وأضاف برهامي: لا شك أن حكامنا اليوم قد تولوا الحكم علىٰ غير أساس من الشرعية، حيث لم يتم توليتهم علىٰ أساس من ترشيح أهل الحل والعقد في البلاد، وكذلك لم يتولوا الحكم لإقامة شرع الله، وعلىٰ هذا فإنَّ الأحاديثَ الواردةَ في عدم جواز أنْ يبيت الإنسانُ ليلتَه وليس في رقبته بيعةٌ لا تنطبق عليهم؛ لأنهم ليسوا حكامًا شرعيين. اهـ

كذا قال برهامي عليه من الله ما يستحق: فهل هذا سيسعىٰ للحفاظ علىٰ الولاة والأمن والأمان؟ اللهم لا، إنما يبغونها عوجـًا وخرابـًا، والعياذ بالله. ألا قَطع الله دابرَهم وقرنَهم .

وصلِّ اللهم وسلِّم وباركْ علىٰ عبدك ونبيك محمدٍ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.